المشتغلون بالعلم وقد اتعبوا انفسهم وجعلوا الدين متعسراً على العامة فتركوه وعلى الحكام فأخذوا بالقوانين والذنب عليهم فى الجميع

(المقلد) : طال المجلس وستبين لنا رأيك فى المعاملات فى المجلس الآتى ان شاء الله تعالى . وانصرفوا

﴿ باب العقائد من الامالي الدينية ﴾

(الدرس ٢٩) الآيات البينات . على صدق الوحي والنبوات

(المسئلة ٦٣) الآية او المعجزة — عبر القرآن الكريم عما ايد الله تعالى به الانبياء لاجل اذعان الناس لهم وقبولهم دعوتهم بالآيات واصطلح المتكلمون على تسميتها معجزات واختلفوا فى وجه دلالة المعجزة على صدق النبي الذى ظهرت على يديه هل هى عقلية او عادية او وضعية لانها بمعنى قوله تعالى : صدق عبدى فيما يبلغ عنى . ولانبحث فى مثل هذه الخلافات النظرية وانما نقول ان القصد منها الحمل على قبول الدعوة والاذعان للرسالة عند استعداد الامة لذلك واقامةُ الحجة البالغة على المعاندين بحيث ينقطع لسان الاعتذار من اهل الجحود والانكار

وقد كان ما جاء به كل نبي كافياً فى هذا المقصد فاهتدى بهديهم كثيرون من المستعدين ، وحقت الكلمة على المكابرين ، « قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين » فالآية او المعجزة امر يؤيد الله تعالى به نبيه ويخضع له به النفوس وكان يختلف باختلاف الامم ومعارفها ودرجات ارتقائها ومهما اختلفت الآيات وكثرت افرادها فانها ترجع الى نوعين آيات كونية آفاقية وآيات علمية نفسية

م (٦٤) الآيات الكونية الآفاقية — اودع الله فى فطرة الانسان الاعتقاد بقوة غيبية تعلو جميع القوى وقدرة علوية تفوق جميع القُدَر واودع فى غريزته ميلاً لمعرفة الاشياء بعللها واسبابها والوقوف على مناشئها وآثارها فاذا رأى شيئاً لا يعرف له سبباً طبيعياً، ولا منشأ كسبياً، يحيله على تلك القوة الغيبية، والسلطة السماوية، ويعبد المظهر الذى قام به، ويخضع ويستخذى للرجل الذى برز على يده، وذلك الاعتقاد كان أصلا للوثنية ثم به جذب الانسان الى الايمان عند ما ارتقى الى درجة يميز فيها بين مظاهر الآيات والغرائب ومجاليها، وبين موجدها الحقيق ومنشيها، ارتقى فى الوثنية من الخضوع والعبادة لابسط المظاهر الطبيعية الى عبادة اعظمها وابدعها كالكواكب والانسان ثم ارتقى من الوثنية الى التوحيد عند ما استعد فى ارتقائه الى فهمه كما قال تعالى «كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» وهذا الارتقاء الذى غايته التوحيد هو الذى نطقت به الآية الشريفة «وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ الا ليَعْبُدُونِ» (راجع المنار ج ٨ م ٤)

لكن الذين يخضعون لمن تظهر على يديه امور خارقة للعوائد المألوفة ومخالفة لسنن المعروفة، لمجرد الجهل بمناشئها، وعدم نفوذ عقولهم الى حقيقتها، يكونون دائماً عرضة للانخداع بشعوذة المشعوذين، وحيل السحرة والدجالين، ومستعدين للرجوع الى الوثنية، وعبادة من ظهرت على يديه الخارقة الكونية، الم تر الى بنى اسرائيل حين اتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم كيف قالوا: يا موسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة. ثم كيف اتخذوا العجل بايديهم وعبدوه ثم الى النصارى كيف عبدوا السيد المسيح عليه

السلام . ولكن لا مندوحة عن هذا لأن نظام الارتقاء الذى اقام الله فيه نوع الانسان يقتضيه فان الانسان فى تلك الامم لم يكن مرتقياً الى فهم البراهين على مسائل الاعتقاد وفهم الحكمة من الشرائع والاحكام الادبية والعملية . والآيات الكونية التى اوتيها موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ليست براهين على ما يجب اعتقاده من تنزيه الله وتوحيده ومعنى النبوة وما يجب اعتقاده فى النبي ولا على منفعة الآداب والاحكام التي جاء بها وموافقتها لمصلحة البشر وانما هى شيء تخضع له النفس وتستخذي امام صاحبه او تحمله على ما يشابهه مما يسمع ويرى من السحرة والمشعوذين . اما الذي يصلح برهاناً قاطعاً على صدق النبي بحيث لا يمكن لمن آمن بسببه ان يرجع عن الايمان فهو النوع الثانى وهو الآيات النفسية والعلمية التي منحها الله تعالى للانسان عند ما ارتقى ارتقاء يمكنه به فهمها

م (٦٥) الآيات النفسية العلمية — هى ما تدل على صدق النبي دلالة حقيقية بالبرهان الذي يجزم العقل بأن صاحبها مؤيد من الله تعالى وموحى اليه ما بلّغه ودعا اليه لانها عبارة عن كون حال النبي وما جاء به يشهدان بانهما لا يمكن ان يكونا الا بامداد الهى ووحي سماوي لانها كحجة من يدعى الطب ويستدل على دعواه بمعالجة المرضى وشفائهم على يده وبالاتيان بكتاب فى الطب اذا عمل به الناس تذهب امراضهم وتحفظ صحتهم ولكن مدعى الطب اذا استدل على صدقه بانه يقلب العصا حية ويكشف حيلة مشعوذ يُري الناس الحبال والعصى حيات وثعابين وفعل ذلك لم يكن بين الدليل والمدلول اتصال يربط احدهما بالآخر . وانما خضع من خضع من الناس لسيدنا موسى بما ظهر على يديه من الايات الكونية لما رسخ فى

طباعهم من الخضوع لكل ذي مظهر غريب يفوق ادراكهم لا لانها براهين اقنعت عقولهم بصدق الدعوى التي قام بها ألا تراهم كيف حنّوا الى عبادة الاصنام وطلبوا من موسى ان يجعل لهم الهاً مثلها على انهم لم يميزوا بينها وبين السحر الا ان صاحبها غلب السحرة اللهم الا السحرة انفسهم فانهم عرفوا الفرق بينها وبين ماجاؤا به من التمويهات الصناعية والشعوذة التخييلية ولذلك اختاروا القتل والصلب على الرجوع عن الايمان

م (٦٦) آية خاتم الانبياء والمرسلين — لما استعد النوع الانساني الى معرفة الحق من الباطل بالبرهان والتمييز بين الخير والشر بالدليل والحجة وكان لابد له في هذا الطور من معلم ومرشد كما في الاطوار الاخرى ارسل الله تعالى اليه رسولاً يهديه الى طرق النظر والاستدلال ويأمره بأن يرفض التقليد البحت والتسليم الاعمى وان لا يأخذ شيئاً الا بدليل وبرهان يوصل الى العلم القطعي فيما لا بد فيه من القطع والى الظن الغالب فيما تقوم المصلحة فيه بالاكتفاء بغلبة الظن . وكانت عمدة هذا الرسول عليه الصلاة والسلام في الاستدلال على نبوته ورسالته نفسه وما جاء به من النور والهدى كالطبيب الذي يستدل على اتقانه صناعة الطب بما يبديه من العلم والعمل الناجح فيها .

قال تعالى « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » فتحداهم في الآية بالاتيان بسورة هادية للناس كسور القرآن من اميٍّ لم يتربَّ ولم يتعلم شيئاً مثل النبي الذي جاء به . وقال تعالى : « يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم » استدل بالقرآن الناطق بالحكمة وبقيام من جاء به على صراط

الاستقامة على انه مرسل من ربه لبيان الحق وهداية الخلق . وقال جل ذكره « وقالوا لولا يأتينا باية من ربه اولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى » احتج ههنا بنوع من انواع علوم القرآن وهو بيان سيرة المرسلين وما فى صحفهم من النور والفرقان وهذا شيء لم يكن يعرفه هو ولا قومه من العرب كما قال سبحانه بعد ذكر قصة نوح « تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين » . وقال تعالى « وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون . وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون . وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين . أولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . قل كفى بالله بينى وبينكم شهيداً يعلم ما فى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون »

سبق هذه الايات الامر بالايمان بما انزل على الانبياء السابقين واشار بقوله (وكذلك) الى ان انزال الكتاب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو من جنس الانزال على من قبله وفي هذا حجة على اهل الكتاب. وبين انه لا يجحد بآيات الله التى نصبها على صدق الرسالة الا الذين صار الكفر صفة من صفاتهم الراسخة . وقفّى هذا ببينات آية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانها كتاب العلم والهدى من الأمّى الذي لم يقرأ ولم يكتب وكون الكتاب بيّن الصدق قاطع البرهان ناصع البيان بالنسبة لمن اوتى العلم

ورزق الفهم فصار يميز بين الحق والباطل ويزيل بين النافع والضار . واذا كان كذلك فلا ريب انه لا يجحد به الا المتوغلون فى ظلم النفس ، العريقون فى مكابرة العقل والحس ، ثم ذكر طلب هؤلاء الكافرين بالنعم ، الطافرين للذمم ، آية كونية آفاقية كالآيات التى خوفت بها الامم من قبلهم حتى انقادت واستسلمت ، أو أخذت واهلكت ، وأمر نبيه بان يجيب هؤلاء الاغبياء ، بان الآيات عند الله لا فى ايدى الانبياء ، وان حكمته تعالى فى تربية الانسان ، اقتضت بأن يكون هذا الطور طور البيان ، وانه (صلى الله عليه وسلم) ليس الا نذيراً مبيناً ، وهادياً أميناً ، ثم نبههم تعالى على ان آيته — وهو النبى الامى — كتاب يشتمل على الرحمة التى تصلح بها قلوب العالمين والذكرى التى تنزع النفوس عن الشر وتحملها على الخير بحيث يظهر أثرها الحسن فى المؤمنين ، ويحق الشقاء على الجاحدين المعاندين ، ثم امره الله تعالى ان يكتفى بشهادة الله فى كتابه بينه وبينهم حيث أقام الحجج البالغة على حقية ما جاء به وبطلان ما هم فيه وبين وهو عالم الغيب والشهادة ان العاقبة الصالحة للذين يتقون « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون » وكذلك كان ، والحمد لله على نعمة القرآن ، وسيأتى تفصيل كون الاسلام برهان على نفسه وصدق من جاء به فى الكلام على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

م (٦٧) تعزيز الكلام . يقول احد الأئمة الاعلام — لما ترك المسلمون اخذ الدين بالبرهان ، كما يرشدهم اليه القرآن ، وتركوا النظر ، واطمأنوا لتقليد من غبر ، صاروا يرتابون بكلام الاحياء ، اذا لم يسند لبعض الاموات من العلماء ، وما ذكرناه من التفرقة بين الاية الكونية ،

والآية النفسية العلمية ، لا يوجد مثله فى كتب العقائد المتداولة التى لم تنشر الا والعلم قد طويَ بساطه ، والفهم قد انطمس صراطه ، وصار الحق يعرف بالرجال ، والرجال تعرف بالموت والزوال ، فرأينا ان نعززه بكلمة من كلام بعض المتقدمين ، رحمة بالمقلدين المساكين ،

عقد حجة الاسلام الغزالى فى كتاب القسطاس المستقيم فصلاً بين فيه الاستغناء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلماء امته عن امام معصوم آخر ومعرفة صدقه بطريق اوضح من النظر فى المعجزات واوثق منه وسماه « طريق العارفين » ومما جاء فيه ان مناظر الامام الغزالى وهو رجل من الباطنية القائلين بان الحق لا يعرف الا بوجود امام معصوم قال له بعد ما اوضح له الموازين التى جاء بها القرآن للتمييز بين الحق والباطل والخير والشر ما يأتى مع جوابه وهو :

« لقد ساعدتنى على ان التعليم حق وان الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت ان كل واحد لا يمكنه ان يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وانه لا يمكنه معرفة تمام الميزان الا منك فكأنك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فما برهانك ومعجزتك فان امامي اما ان يقيم معجزة واما ان يحتج بالنص المتعاقب من آبائه اليه فاين نصك واين معجزتك ؟ فقلت : اما قولك « انك تدعى الامامة لنفسك خاصة » فليس كذلك فانى ارجو ان يشاركنى غيرى فى هذه المعرفة فيمكن ان يتعلم منه كما يتعلم مني فلا اجعل التعليم وقفاً على نفسى . واما قولك تدعي الامامة لنفسك فاعلم ان الامام قد نعنى به الذى يتعلم من الله تعالى بواسطة جبريل وهذا لا ادعيه لنفسى وقد نعنى به الذى يتعلم من الله بغير جبريل ومن

جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمي علي رضي الله عنه إماماً فانه تعلم من الرسول لا من جبريل وانا بهذا المعنى ادعي الامامة لنفسي . اما برهاني عليه فاوضح من النص ومما تعتقده معجزة فان ثلاثة انفس لو ادعوا عندك انهم يحفظون القرآن فقلت : ما برهانكم ؟ فقال احدهم : برهاني انه نصّ عليّ الكسائي استاذ المقرئين اذ نص على استاذي واستاذي نصّ عليّ . فكأن الكسائي نصّ عليّ . وقال الثاني : اني اقلب العصا حية وقلب العصا حية . وقال الثالث : برهاني اني اقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف . فليت شعري اي هذه البراهين اوضح عندك وقلبك بايها اشد تصديقاً ؟ فقال بالذي قرأ القرآن فهو غاية البراهين اذ لا يخالجني فيه ريب اما نص استاذه عليه ونص الكسائي على استاذه فيتصور ان تقع فيه اغاليط لاسيما عند طول الاسفار واما قلب العصا حية فلعله فعل ذلك بحيلة وتلبيس وان لم يكن تلبيساً فغايته انه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظاً للقرآن ؟

« قلت : فبرهاني إذن أيضاً اني كما عرفت هذه الموازين فقد عرفت وافهمت وازلت الشك عن قلبك في صحته فيلزمك الايمان بامامتي كما انك اذا تعلمت الحساب من استاذ حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضروري بان استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه وصحة دعواه أيضاً في انه حاسب . وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا بشق القمر ولا بقلب العصا حية بمجردهما فان ذلك يتطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل . فان التعارض في عالم الحس والشهادة

كثير جداً لكني تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال المعاد وعذاب القبر وعذاب اهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته في كتاب (جواهر القرآن) فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار فتيقنت ان محمداً صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه اذ قال : لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله . فكانت معرفتي بصدق النبي ضرورية كمعرفتك اذا رأيت رجلاً عربياً يناظر في مسئلة من مسائل الفقه ويحسن فيها ويأتي بالفقه الصحيح الصريح فانك لا تتمارى في انه فقيه ويقينك الحاصل به اوضح من اليقين بقلب ألف عصا ثعابين لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتلبيس والطلسم وغيرها » انتهى المراد منه وقد حكم الامام بعد ذلك بأن ايمان العوام والمتكلمين ضعيف لانهم لم يسلكوا هذه الطريقة

﴿ شبهات المسيحيين على الاسلام ﴾

« وشبهات التاريخ على اليهودية والنصرانية »

كتبنا نبذة معنونة بهذا العنوان في الجزء الخامس ذكرنا في فاتحتها اننا طلاب مودة والتئام لا عوامل نزاع وخصام واننا لا نود ان يطعن أحد من المسلمين والنصارى في دين الآخر لان اظهار كل فريق محاسن دينه كافية في الدعوة اليه من غير حاجة الى الطعن فقد قام الاسلام بهذه الآداب ونما نمواً وانتشر انتشاراً سريعاً لم يعرف له نظير في التاريخ وذكرنا أيضاً ان اخواننا المسلمين اذا وافقونا على استعذاب هذا المشرب فان